11 me Année No. 531

Lunddi - 6 - 9 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٥٣١ « القاهرة في يوم الإثنين ٦ رمضان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٦ سبتمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

ذبح الفقراء لا يحل مشكلة الفقر

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب الأديب « إحسان » في مجلة « آخر ساعة » يروى عني أنني قلت له : « ... يكفي أن يتمتع الإنسان بحريته ليعيش سعيداً حتى لو كان فقيراً ، وأن أي نظام أو أية محاولة ترمي إلى إزالة الفوارق الاقتصادية بين الطبقات إنما هي ترمي في أساسها إلى تقييد حرية الفرد ... »

ثم سأل الأديب : « ولكن هل يملك الفقير حريته كما يقول الأستاذ العقاد ؟ هل أستطيع أنا مثلاً أن أسافر إلى الإسكندرية وألقي بجسدي المتعب على شاطىء البحر كما يفعل صديقي عادل صدقي نجل دولة صدقي باشا ؟ ... لا نستطيع ، لأن حريتنا محدودة بجيوبنا . فالمفلس لا يملك حرية الخروج من منزله والجلوس على القهوة ، والذي في جيبه نصف قرش لا يملك حرية إشباع بطنه ... » الخ . الخ .

* * *

وفي نقل كلامي على هذه الصورة شيء من التحريف لأنني لا أقول إن الحرية وحدها تكفي الإنسان وتغنيه عن الطعام ، ولكني أقول إن المذهب السياسي أو الاجتماعي الذي يسلبنا الحرية يسلبنا أعز نعمة في الحياة الإنسانية ، بل يسلبنا كرامة الإنسان ويستحق منا المقت والازدراء

الفهرس

وأنا لا أقول إن إزالة الفوارق الاقتصادية بين الطبقات ترمى إلى تقييد حرية الفرد ، ولكنى أقول إن تقييد الحرية الفردية لإزالة هذه الفوارق نقمة لا يرحب بها رجل كريم

وأنا أدافع عن الديمقراطية لأنها تؤمن بحرية الفرد وتصلح الناس إصلاح الأحرار المكلفين لا إصلاح العبيد المسخرين

ولكنى أمقت المذاهب السياسية الأخرى لأنها تسلب الحرية الفردية ولا تحل المشكلة الاقتصادية ، فتحرمنا الكرامة ولا تكفل لنا الطعام ، وهذا هو الحرمان الذى لا عزاء فيه ولا موجب لاحتماله ، والصبر عليه إلى زمن طويل

فالنازيون والفاشيون والشيوعيون يستغفلون الناس حين يقولون لهم إننا سلبناكم الحرية ولكننا أرحناكم من البطالة ودبرنا لكم الرزق بتدبير الأعمال ، لأنهم فى الواقع كاذبون فيما زعموه من تدبير الرزق وتدبير العمل ، وإن كانوا صادقين جد الصدق فيما أعلنوه من سلب الحرية وتسخير الكرامة الإنسانية

والنازيون اليوم يحتاجون إلى مليون عامل بل إلى مليونين بل إلى ثلاثة ملايين لو وجدوهم من الألمان أو غير الألمان يحتاجون إليهم ويبحثون عنهم ويغتصبونهم اغتصاباً من كل مكان حكموه أو سيطروا عليه

فهل نسمى حاجتهم هذه إلى العمال نجاحا في كفاح البطالة وتدبير الأرزاق ؟

وهل هذا هو العمل الذى يريح الفقراء من أعباء الفقر ويتيح لهم الاصطياف على شواطىء الإسكندرية ؟

فكفاح البطالة على هذا المنوال هو الكفاح الذى يستطيعه النازيون والشيوعيون والفاشيون ، وهو الدواء الذى يربى فى الشر والبلاء على عشرة أدواء

والنتيجة ماثلة أمامنا لا تذهب بنا إلى بعيد

فالحرب الحاضرة وما جلبته على الناس من الكرب والألم والضيق والغلاء هي ثروة العلاج الذى دبره النازيون والشيوعيون والفاشيون لمشكلة البطالة وأزمة الأرزاق

وقد استطاع النازيون وأمثالهم أن يديروا المصانع ويستخدموا الأيدى العاملة لأنهم أداروا المصانع جميعها على تحضير السلاح وأدوات القتال

فاستراح الشعب الألمانى من مليون عامل عاطل بضع سنوات ، ولكنه عرض للقتل خمسة أو ستة ملايين من أولئك الفقراء فى سنة واحدة ، وسيخرج من الميدان وفيه عشرة أضعاف العاطلين الذين كانوا فيه قبل دخوله ، وإلى جانبهم عشرة أضعافهم من القتلى والمفقودين والمشوهين

أى حل هذا لمشكلة البطالة ؟

أى علاج هذا الذى يريحك من مليون عاطل بخمسة مليون قتيل ، ثم يصبح الشعب كله أو جله من العاطلين ؟

وليست المسألة هنا مسألة النظام السياسى الذى يطلقون عليه اسم النازية أو اسم الشيوعية أو اسم الفاشية أو اسم العسكرية اليابانية ، فإن النظم السياسية جميعاً تتساوى فى هذه القدرة متى لجأت إلى تشغيل الأيدى فى الذخيرة والسلاح ، وإن الديمقراطية لأقدر من المذاهب الأخرى على تشغيل الأيدى جميعاً فى إبان الحروب التى تساق إليها كما نرى الآن فى كل مكان رأى العين .

فلا ينبغى إذن أن يقال إن تدبير الرزق بالإكثار من مصانع السلاح والذخيرة مزية من مزايا هذا النظام أو ذاك ، فهى مزية ميسورة لكل من يختار هذا العلاج أو يندفع إليه ، ولا يزال من المحقق بعد هذا كله أن الديمقراطية تفضل المذاهب الأخرى من شتى نواحيها ، لأنها تعترف بالحرية الإنسانية ولا تعجز عن علاج مشكلة البطالة على هذا المنوال حين تشاء

* * *

وبعد فأين هو النظام السياسى الذى يسمح لكل من شاء أن يسافر إلى الإسكندرية ويأتى بجسده المتعب على شاطئها ؟

هب الفوارق الاقتصادية قد زالت كل الزوال ولم يبق فى الأرض إلا أنداد متساوون فى الثروة والقدرة على المتاع وأراد هؤلاء أن يذهبوا إلى الإسكندرية فكيف يذهبون ؟

أيذهبون إليها بالبطاقات على حسب الدور ؟ أيذهبون إليها دفعة واحدة فى أسبوع واحد ؟ إنهم على كل حال مقيدون بالإمكان الذى لا سيطرة لهم عليه ، ولو استراحوا من تفاوت المراتب واختلاف الأرزاق

* * *

يروى أبناء البلد قصة طريفة عن الكلب الرومى والكلب البلدى اللذين اصطحبا على الخير والشر وذهبا إلى سوق الجزارين يبغيان الرزق من وراء الأوضام والسواطير

ذهبا أولاً إلى سوق الروم فإذا الحواجز قائمة على الدكاكين وإذا هى لا تبيح مدخلها لإنسان ولا حيوان بغير حساب ، وإذا

العظام فيها توضع حيث تصان عن الخطف والاختلاس

وقال لهما صاحب الدكان « إكسو » فخرجوا محرومين جائعين ، وطافا النهار على الدكاكين ولم يظفرا بغير إكسو التي يعقبها نذير الخطر ، أو بالقليل من العظم المنبوذ الذي لا خير فيه

ثم أصبحا من الغداة على سوق أبناء البلد فلم يحجزهما حاجز عن اللحم والعظم ولم يلبثا هنيهة حتى أصابا الشبعة من اللحم والعظم بغير نصب ، وسرهما أن يسمعا صاحب الدكان يقول لصبيه « ناوله » ويشير إلى الكلب الرومي الذي أوغل في داخل الدكان بغير مبالاة لاغتراره بقلة الحواجز والحراس ، فحسبا أنها مناولة إكرام وضيافة تغنيهما عن التسلل والاختلاس ، وانتظرا هذه المناولة انتظاراً غير طويل ، لأن الكلب المسكين لم يشعر بعد ذلك إلا بضربة من الساطور أوشكت أن تقصم صلبه ، وانطلق يعوي على غير هدى وهو يقول لصاحبه الذي طفق يناديه ويستعيده : لا لا يا صديق ... « عشرة إكسو ولا واحد ناوله ... »

والدجالون أعداء الديمقراطية قد لبثوا سنين عدة وهم يرفعون العقائر بحرب البطالة وهم يزعمون أنهم خلقوا عملاً لكل مستطيع لأنهم أداروا معظم المصانع على صنع الدبابات والمدافع والطائرات وأدوات الهلاك

وانظر أيها العالم الذاهل لقد هبط عدد العاطلين من ثلاثة ملايين إلى مليون !

وانظر مرة أخرى لقد هبط العدد من مليون إلى مئات قليلة من الألوف !

وانظر مرة أخرى لقد خلص الوطن من العاطلين أجمعين ، وزاد على ذلك أن استدعى إليه الملايين من عمال الأجانب المسخرين

ثم أفاق العالم من ذهوله على أضعاف أولئك العاطلين مقتولين ومجروحين ومشوهين ، ولن تنقضي مدة حتى تنجلي الهزيمة عن أضعاف أضعافهم من المساكين عالة على أوطانهم وعلى العالم كله عدة سنين

وهذه هي « المناولة » التي يحسنها الدجالون من أعداء الديمقراطية ، ويسمونها علاجاً لمشكلة الأرزاق ، وتسوية بين الطبقات ، وليست هي من ذلك في كثير ولا قليل

خير من كل علاج كهذا العلاج أن يقوم المجتمع على تعاون الطبقات فيفرض المونة على القادرين لينتفع بها الضعفاء حقاً مفروضاً لهم في رقاب الأمة أو الدولة ، وأن يفتح للفقير باب السلم فيصعد عليه إلى الذروة حيثما استطاع ، وأن يتسابق العاملون في ميدان الحياة كما يتسابق الأحرار ولا يستكينوا فيها كما يستكين العبيد

فالكرامة الإنسانية تأبى أن تحل مسألة الأرزاق كما حلتها مصالح السجون في العالم المتمدن بأسره : كل مسجون ينام وهو شبعان ، وكل مسجون له عمل يحرك به يديه ، وكل مسجون يكسو جسده ويأوي إلى سقف يظله ويعرض نفسه على طبيب ولكنه لا يحسد على هذا النصيب

والعقل الإنساني يأبى أن تحل مسألة الأرزاق بالإكثار من مصانع الذخيرة والسلاح ، لأن علاج البطالة بالموت والخراب طب مجانين إنما الكرامة والعقل أن نحفظ الحرية وأن نطلب الرزق مع الحرية ، وأن نؤمن بأن أخطاء الديمقراطية في تدبير مسألة الأرزاق أسلم من صواب مزعوم لا يثبت على التجربة برهة حتى يعصف بكل ما أفاد ، إن صح أنه أفاد .

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

حياة الأديب — الصديق — قلدوا قلدوا — الشيخ المراغي — النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة

حياة الأديب

دُعيت لإلقاء خطبة في تأبين المرحوم عبد الحميد الديب فأجبت، وكانت نيتي أن أقول رأيي علانيةً في الحياة التي يحياها مثل ذلك الأديب، لئلا يكون الإكثار من الثناء عليه إغراء بذلك اللون من الحياة القَفْراء.

ثم رأيت الحفلة فوق ما كنت أنتظر، فقد اشترك فيها خطباء وشعراء من الطراز الجيد، وحضرها جمهور من أفاضل الناس، وتُلي فيها خطاب أرسله وزير الشؤون الاجتماعية وخطاب أرسله وزير الأوقاف. وتلك مظاهرة أدبية تمنع ما أردت أن أقوله في نقد الحياة التي اختارها ذلك الشاعر المسكين

ولكن هذه المظاهرة بدت لي باعثاً جديداً على أن أقول ما نويت أن أقول، فقد تجسَّم التخوف من شيوع البوهيمية بين فريق من أدباء الجيل الجديد، وخِفتُ أن تكون هذه المظاهرة دعوة إلى تحلل الأديب من واجبات الحياة في نظامها اللائق بأهل البيان

وكذلك انطلقت فقلت: إن عبد الحميد الديب كان على جانب من الأدب والذكاء، ولكنه ظلم نفسه حين انخدع بالرأي المنحرف، وهو رأي من يتوهمون أن البؤس يذكي المواهب، ويزيد في يقظة العقول. وقد آمن بهذا الرأي إيماناً فرض عليه أن يجعل همه في الوصول إلى الظفر بلقب «شاعر البؤس»، وهو لقبٌ لا يتمناه لنفسه إلا من حُرِم نعمة التوفيق. وماذا جنى عبد الحميد الديب من ذلك اللقب الطنّان؟

كل ما جناه أن يعيش في رحمة المترحمين، ولا يحتاج إلى الترحم غير المساكين، وإذا كان الأدب لا يمتع أهله بغير المسكنة فعليه اللعنة إلى يوم الدِّين!

ثم قلت:

أين الشريعة التي توجب أن نذل أنفسنا في سبيل الأدب؟

وما قيمة الأدب إن لم يجعلنا أعزّاء؟

وما هذه الخرافة التي تقول بأن من حق الأديب أن يعيش بلا مهنة تغنيه عن سؤال الناس؟

وكيف نهدي الناس إلى الخير ونحن نستهديهم المال؟

هل ننسى قول أبي العتاهية:

لو رأى الناس نبيًّا سائلاً ما وَصَلوهُ

إن الاحتياج إلى الناس بداية الانخذال، ولو كانوا من الأهل والجيران، فإن احتاج الأديب إلى معونة إخوانه وهو قادر على كسب الرزق بعرق الجبين فهو أديب زائف لا أديب صحيح

من واجب الأديب نحو أدبه أن يصونه عن إفضال المُفضِلين، لينطق بكلمة الحق في حرية وصراحة وإخلاص، وهذا لا يتيسر للأديب المحتاج إلى الإفضال

هل تذكرون ألقاب شعرائنا وعلمائنا في العصور الخوالي؟ كانت ألقابهم أنساباً إلى الحِرف والصناعات، ففيهم الزّجّاج والقَفّال، والتمّار والوقّاد، والصبّان والبنّان والسّرّاج والحدّاد والزيات واللبان، وكانت هذه الأنساب من أجمل التشاريف، وهي باقية على الزمان

وإذا كان التاريخ سجل أسماء تكسَّب أصحابها بالأدب فقد كان أولئك المتكسبون من حواشي الملوك. وقد اصطلح الناس في كل زمان ومكان على أن هبات الملوك تحيات لا معونات

وهل يتقدم ملك بتشجيع أديب إلا وهو يعرف أنه يضع جوهرة جديدة بين جواهر التاج؟

وما حظوظ الأدباء الذين ظفروا بهبات الخلفاء والملوك والأمراء؟ ما حـ ـظهم في التاريخ؟

كانوا من الوجَّهين في الحيوات السياسية والأدبية والاجتماعية، وكان إليهم المرجع في تدبير شؤون الملك، وكانوا المتصرفين في شؤون السلم والحرب

فما هو حظ الأديب الذي ينتظر هبات من أدباء لا ملوك؟ أعاذكم الله من احتياج الزميل إلى الزميل!

إن قتل النفس أهون من الاحتياج إلى الأخ الشقيق، فكيف نستسيغ الاحتياج إلى الرفيق؟

وفى أدبائنا من يتوهم أن نظم أبيات فى هذا الفلان أو ذلك العلان تمنحه الرزق ، فإن صح توهمه فسيكون رزقه من الرزق الحرام لا الحلال

إن رزق الأديب من الذوق ، واللمحة الواحدة من طلعة البدر قد تكون زاده الروحى إلى آخر الزمان

إن الأديب الحق ليس أسيراً للوطن ولا أجيراً للمجتمع ، فكيف يكون أسيراً لفلان ، أو أجيراً لعلان ؟

وعبد الحميد الديب لم يقتل نفسه عامداً متعمداً ، فأنتم خدعتموه وضللتموه ، وفرضتم عليه أن يستغيث بمعروفكم يا أشحاء !

تقول العبارة المصرية « فلان يقتل المقتول ويمشى فى جنازته » وأنتم القتلة لذلك المخلوق الذى وثق بكم ، وأنتم حملة المصاحف أو القماقم بجنازته المجفاء ، فما قيمة براعتكم فى الرثاء !

إن دموعكم يا قاتليه لن تنجيكم من غضبتى عليكم

فاسمعوا هذه الكلمة ، واعلموا أن بكاءكم فى هذا الاحتفال سيمر بلا ثواب ، وقد يكون مجلبة العقاب ، لأنكم تزينون لسامعيكم حياة لا ترضونها لأنفسكم إلا مكرهين

ثم قلت : وماذا فى خطاب وزير الشؤون الاجتماعية ؟

إن فؤاد باشا سراج الدين يعد بأن سيضع نظاماً يقى الأدباء شر التشرد ، وأنا باسمكم أعلن استقلال الأدب عن الحكومة ، فما يجوز أن نطالب الاستقلال لبلادنا ونطلب الحماية لأقلامنا

إن تطوعت الدولة برعاية أديب أعجزه المرض عن طلب الرزق فذلك عمل يستأهل الثناء ، ولكننا نرفض حمايتها لأديب يستطيع كسب القوت ولو بالفأس والمحراث

نحن لا نطالب الدولة بشىء وإنما نطالب أنفسنا بكل شىء ، فمن الواجب أن تكون لنا مشاركات فى جميع الميادين ، من الواجب أن نكون رجال أعمال ، كالذى صنع شيخنا طلعت حرب ، فقد حوّل ذوقه الأدبى إلى الاقتصاد . وبهذا استطاع أن ينظم أعظم قصيدة عرفتها اللغة العربية ، وهى « بنك مصر » ثم أردف القصيدة بمقطوعات هى تلك الشركات

وإذا بدا لنا أن ننسحب من ساحات الثراء فليكن انسحابنا عن زهد لا عن يأس ، ولنكن فى فقرنا نُسّاكاً لا عاجزين ، فنية التجرد عن الدنيا نية مقبولة ، على شرط أن تكون من وحى التحليق لا وحى الإسفاف

إن الأمم القوية تستطيع تلوين الأنظمة السياسية بشتى الألوان ، وتستطيع أن تبلغ صوتها إلى آفاق الشرق والغرب ، وتستطيع أن تعقد المعاهدات وتثير الحروب ، ولكنها لا تستطيع خلق الأديب ، لأن الأديب لا يخلقه غير فاطر السماء

الدنيا لنا ، إن شئنا ، فالمواهب الأدبية أعظم المواهب ، ولو بذلنا فى طلب الدنيا معشار ما نبذل فى طلب الأدب لكنا أغنى الناس ، فلتكف الدولة برّها عنا ، فنحن كأشجار الصحراء ، لا نرجو غير ندى السماء

أيجود الله علينا بالأدب ويبخل بالرغيف ؟

قولوا كلاماً غير هذا ، فلن يتخلى الله عنا ، وسنظل بفضله أغنى الأغنياء

المصريون

فى هذه اللحظة يتصل الهتاف مؤذناً برحيل الأستاذ طه الراوى عن القاهرة بعد دقائق ، فما الوسيلة لتوديع رجل كانت داره ولن تزال دار المصريين فى بغداد ؟

حين تقرر سفر الأستاذ صادق جوهر إلى العراق كان من الواجب أن أقابله أنا والدكتور عبد الوهاب عزام لندله على أصدقائنا هناك ، وقد دللناه على رجلين : طه الراوى ورضا الشبيبى ، مع حفظ الحقوق لسائر من عرفنا من كرام الرجال بوطن دجلة والفرات

وقد كان عجباً للناس أن يرونى أذكر العراق بالخير فى كل وقت ، وفاتهم أن يعرفوا أن المصرى حين يشرّق لا يكون همه إلا معرفة الكنوز المجهولة من فضائل الشرق

ونحن عرفنا العراق ، فهل رأينا فيه غير الجميل ؟ ولنفرض أن فريقاً ممن عاشوا فى العراق عانوا بعض المتاعب ، فمتى خلت الحياة مما يكدر الصفاء ؟

وهل نجد السعادة كاملة فى أى أرض حتى ننشدها كاملة فى العراق ؟

إذا عزّ علىّ أن أصافح الأستاذ طه الراوى وهو راجع إلى

بغداد فلن يعز علىّ أن أخلق ألف فرصة وفرصة للتحدث عما يتحلى به من شمائل وآداب

قلدوا قلدوا

كان الأستاذ عبد الجبار الجلبي قد صارحني بأنه غير راض عن القاهرة ، لأنها أصبحت صورة منقولة من المدائن الأوربية ، وقد أجبت بأن مزية مصر هي سرعة النقل ، وقد نقلت مصر فكرة الانتفاع بالسكك الحديدية قبل أن ينقلها الأتراك ، مع أنها كانت في ذلك الوقت ولاية تركية

وحين دخلنا سنتريس قال السيد عبد الجبار : إن مدخل سنتريس مدخل قرية أوربية لا قرية شرقية ، فكيف انتقل التقليد إلى الريف ؟

فأجاب الأستاذ الراوي : لقد حان الوقت لتبديد النصيحة السخيفة ، نصيحة من يقول : لا تقلدوا مثل القرود ، فما كان القرد أذكى أنواع الحيوان إلا لأنه يقلد كما يقلد الإنسان ، وهل كان الحمار حماراً إلا لأنه يغفل عن التقليد ؟ وهل أفلحت انجلترا إلا بتقليدها ما يجد من الاختراعات الأوربية والأمريكية ؟ قلدوا مثل القرود ، ولا تغفلوا غفلة الحمير ، فنحن نرى قرداً يعلو ظهر حمار ، ولا نرى حماراً يعلو ظهر قرد

الشيخ المراغي

في محطة القاهرة رأينا شيخاً من بُعد ، فقال ضيوفي : مَن هذا الشيخ المهيب ؟ فقلت : هو الشيخ المراغي ، فتعالوا نسلم عليه ، لتقولوا إنكم سلمتم على شيخ الأزهر الشريف

وأسرعت فاستوقفت الشيخ ليسلم عليه ضيوفي ، فقال الشيخ حين رآهم : هل جئتم للسؤال عن طبيب ليلى المريضة في العراق ؟

فقال الأستاذ الراوي : يا سيدي ، إن الناس « يقولون ليلى في العراق مريضةٌ » هم يقولون ، يقولون

فهتفتُ : وأنا أيضاً أقول ، وليلى تفهم ما أُريد

وفي القطار قال الأستاذ الراوي : إن الأزهر لم يَرَ مثل الشيخ المراغي منذ ثلثمائة سنة . فقلت : وهل تنسى الشيخ محمد عبده ؟ فأجاب : الشيخ محمد عبده شخصية دولية لا أزهرية ، ولو كان الشيخ عبده في صبر الشيخ المراغي لأتى في إصلاح الأزهر بالأعاجيب . إن الشيخ عبده كان ثائراً ، والثُّوار لا يسلمون من أذى الجهلاء ، أما الشيخ المراغي فهاديٌ ، وهدوء المصلحين يُشبه هُدوء الينابيع المطمورة في جوف الأرض ، فهو يتحرك والناس يظنونه في سكون . ولقد قرأت له كلمات في تفسير بعض آيات القرآن تضعه في الصف الأول بين رجال الاجتهاد

قلت : والحكم بأن الأزهر لم ير مثل الشيخ المراغي منذ ثلثمائة سنة فيه جورٌ على أسلافه من الأكابر ، وفيه جورٌ على الذاتية المصرية، وسأدعو الأستاذ الأكبر إلى وضع كتاب تُسجل فيه المناقب الكريمة لمن تولوا مشيخة الأزهر الشريف

النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة

منذ أعوام أخرج الأستاذ ابراهيم مصطفى بحثاً طريفاً سماه « إحياء النحو » فردَّ عليه الأستاذ محمد عرفة بكتاب جيد سماه « النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة » ، ومن ذلك البحث وهذا الكتاب ظفرنا بثروة أدبية تذكر بالجهود الكريمة للنحاة القدماء

وكان المنتظر أن يتشعب الجدل بين هذين الرجلين ، وأن تثور حربٌ نحوية تنتهي بأن يكون للمصريين مذهبٌ في النحو ينافس مذاهب البصريين والكوفيين والبغداديين

ثم لاحت فرصة الجدل حول « تيسير النحو » ، فظهرت أبحاث تبشر بطلائع جديدة في الدراسات النحوية ، وتبعتها تعقيبات في الجرائد العراقية والسورية

ثم ماذا ؟ ثم سكتت الأصوات ، وانصرف المجادلون عن حومة الجدال ، مع أن النحو لن يحيا إلا إذا صيرناه من المشكلات العقلية ، لنجذب إليه أنظار المتأدبين ، ولننفض عنه غبار الخمول ، فهل نرجو أن تثار معركة النحو من جديد ؟

زكي مبارك

١ - نشأة الدرامة الانجليزية

للأســـتاذ دريني خشبة

لا نرى بدا ، ونحن ندعو إلى سلك الأدب المسرحي في الأدب العربي ، من أن نضع موجزاً نافعاً عن نشأة الدرامة في كل من الممالك الأوربية بين أيدي أدبائنا الشباب الذين نعتمد عليهم في إحداث تلك الثورة في الأدب العربي ، أولئك الشباب الذين لم يتيسر لهم تعلم لغة أجنبية ينفذون منها إلى الثقافات الأدبية الحديثة ، أو الذين تعلموا إحدى تلك اللغات ، ثم صرفتهم شواغلهم الكثيرة عن التفرغ لدراسة آدابها ، وأدبها المسرحي بوجه خاص ، وسنحاول في هذه الخلاصات أن نجعلها مشوقة مثيرة لحب الاستطلاع في نفوس القراء ، بحيث نباعد بينها وبين الجفاء العلمي ما وسعنا إلى ذلك من سبيل ...

أما لماذا آثرنا أن نبدأ بنشأة الدرامة الإنجليزية فذلك لما لها من المنزلة التي لا تجحد بين زميلاتها من الدرامات العالمية ؛ ثم لأنها في نظري على الأقل ، توائم الكثير من مشاربنا في الحياة بما نتوخاه من الفضيلة ، وتفيض به من الرجولة الكاملة ، ولأنها في الجملة ذات أغراض عالية ، وأهداف أرفع

***

وقبل أن نخوض في تفاصيل نشوء الدرامة الإنجليزية ، نرى أن نلم شعث هـذا البحث الطويل المتشعب في مجالة قصيرة نستعين بها في ضبط الموضوع كله ، وإليك هذه المجالة :

١ — نشأت الدرامة الإنجليزية في طورها الأول في ظل الكنيسة ، وكانت تنقسم في ذلك الطور البدائي إلى قسمين ، أو إلى نوعين : الأول ، النوع الإنجيلي ، أو السمى ، وكانت موضوعاته وشخصياته مستمدة من الإنجيل أو الكتاب المقدس بوجه عام . ويسمى هذا النوع بالإنجليزية : Mysteries . أما النوع الثاني فهو القديسي أو الكرامي . وموضوعاته وشخصياته مستمدة من حياة القديسين المسيحيين وكراماتهم ولذلك سماه الإنجليز Miracle Plays

٢ — أما الطور الثاني فهو الطور « النقابي » ، وهو الذي كان يتولى جميع شئون التمثيل فيه نقابات Gilds أو Guilds من أصحاب الحرف المختلفة ، وكانت معظم دراماتهم من النوع القديسي أو الكرامي

٣ — ثم الطور الأخلاقي ، وهو الذي ينسخ الدرامات الإنجيلية والقديسية ويحل محلها درامات أخلاقية أبطالها وموضوعاتها الفضائل والرذائل ، لا زيد ولا عمرو ، فيلبس رجل لباساً شنيع الهيئة ليمثل الشر ، ويلبس رجل آخر لباساً جميلاً ليمثل الخير ، وهلم جرا ، ويدعي النقاد الإنجليز المسرحيون المحدثون أن المذهب التعبيري الذي قام في ألمانيا قبل الحرب الحاضرة إنما قام على أنقاض هذا الطور الأخلاقي من أطوار نشوء الدرامة الإنجليزية ، وقد أشرنا إلى ذلك في كلامنا على المسرح الألماني ، وسوف نعود إليه إن شاء الله في حينه . وقد نشأ إلى جانب الدرامات الأخلاقية أو ال Moralities كما يسمونها نوع مستقل فكاهي من قبيل (الفواصل) المضحكة التي تعمل في الحفلات عندنا ، ولذلك فهم يسمونه : Interludes . ولا بأس من الإشارة في هذه المجالة إلى أن النوع الأخلاقي إنما نبتت جذوره في النوع الإنجيلي ، وذلك لأنه يمثل الجد والوقار والاحتشام الذي يقتضيه الدين ويلازم كل ما له علاقة بالكتاب المقدس . وأن نوع الفواصل إنما نبتت جذوره في النوع القديسي أو الكرامي ، لأنه يمثل الهزل ويعني بالتضحيك والسخرية

٤ — أما الطور الرابع فهو طور المأساة العظيم الذي شق للأدب الإنجليزي طريقة إلى تسنم الذروة بين الآداب العالمية جماء

ويلاحظ في هذا التطور أنه يشبه إلى حد بعيد تطور الأدب المسرحي عند اليونان القدماء ... ذلك الأدب الذي لخصناه لقراء الرسالة منذ ثلاث سنوات .

الطوران الأول والثاني

لما كانت أغلبية الشعب الإنجليزي أغلبية أمية لا تقرأ ولا تكتب ؟ ولما كان كتاب هذه الأغلبية المقدس مكتوباً لها إما باليونانية أو اللاتينية ، وذلك قبل أن يترجم إلى الإنجليزية ، فقد كان رجال الدين يلقون الأمرين في تلقين الشعب مبادئ

دينه ، كما كان يتعذر عليهم تلقينهم قصص التوراة وقصص الإنجيل ، مما لا بد لكل شعب متدين أن يلم به ، لما فيه من العبرة والموعظة الحسنة ، ولما له من الأثر فى غرس محبة الدين فى القلوب المؤمنة ، والتغلغل به فى سويداءاتها ... من أجل ذلك اضطر رجال الدين إلى استخدام التمثيل وسيلة فذة لبلوغ أربهم إلى ألباب الشعب والوصول فى سرعة ويسر إلى تثقيفهم بثقافة كتبهم المقدسة فنجحوا فى ذلك نجاحاً باهراً على الرغم من أن جميع الدرامات الإنجيلية Mysteries التى كان يمثلها القسس أنفسهم فى البيع والكنائس إنما كانت تمثل باللغة اللاتينية ، تلك اللغة التى كان الشعب قليل الإلمام بها ، حالة مسلمى الترك والهند والصين وجاوة اليوم باللغة العربية . وكان القسس يحافظون بقدر المستطاع على حرفية الكتاب المقدس فى التمثيل ، وإن كانوا أحراراً فى اختيار الملابس التى يرونها لائقة ووافية بالغرض .

ولهذا لم تكن الدرامات الإنجيلية تصادف من النجاح وإقبال الشعب ما كانت تصادفه الدرامات القديسية أو الكرامية المستمدة من حياة القديسين وكراماتهم الخارقة ، لما كانوا يتمتعون به من حرية فى صوغ الحوار وتكييف الحوادث تكييفاً يسهّل خلق الجو المسرحى ، ويطلق العنان للمبالغة فى الأداء لضمان السيطرة على ألباب الجماهير والضرب على أوتارهم الحساسة ، ثم لما فى الخوارق من عناصر الخيال والخروج على مألوف الحياة العادية مما يضمن نجاح ذلك النوع من التمثيليات بالقدر الذى لا يتفق للتمثيليات الإنجيلية . أما أمثلة الدرامات الإنجيلية فكثيرة . وهى تشمل كل ما جاء فى الكتاب المقدس من قصص رائع معروف من الجميع

أما الدرامات القديسية Miracles فقد زاد فى نجاحها وضاعف من إقبال الجماهير عليها أداؤها بلسان الشعب باللغة الأنجلوسكسونية ، وكان ذلك لأول مرة إبان حكم الملك إدورد الثالث (١٣٢٧ — ١٣٧٧) أى فى منتصف القرن الرابع عشر على وجه التقريب ، وهو التاريخ الذى يعتبر بحق فجر النهضة التمثيلية فى انجلترا . وكان لهذه الدرامات مواسم تمثيلية تشبه ما كان عند اليونان منها . وكانت هذه المواسم هى الأعياد الدينية بوجه عام مثل : عيد الميلاد ، وعيد الفصح أو عيد القيامة Easter وأحد العنصرة أو الـ Whitsuntide وعيد الجسد أو القربان المقدس Corpus Christi . ولا غرو أنه كانت هناك مناسبات خاصة لتمثيل هذه الدرامات ، فمن ذلك حفلات الزفاف واستقبال الملوك وقيام الحجاج إلى الأراضى المقدسة والمناسبات السياسية وتدشين البنايات الهامة ... الخ ...

وبمضى الزمن ، ولشدة إقبال الناس على التمثيل ، بحيث لم تعد هيئة الإكليروس كافية للقيام بتمثيل مئات الدرامات التى ظهرت بناء على قانون العرض والطلب ، انتقل زمام التمثيل من أيدى القسس إلى أيدى رجال النقابات Guilds التى كانت تمثل الطوائف المختلفة للعمال . وهذا هو الطور الثانى الذى ازدهر فيه التمثيل الإنجليزى أيما ازدهار ، وذلك لروح التنافس بين هذه النقابات ، ولما كانت تلك الطوائف تنفقه من المال والجهد والعناية وتحرى أصول الإخراج لتبلغ دراماتها القديسية حد الإتقان ، ولما حدث بعد هذا من التنافس بين المدن الإنجليزية للوصول بتمثيلياتها إلى حد الكمال . فهذه لندن ، وتلك دبلن ، ثم يورك وشستر وكوفنترى ولانكاستر ... وكل المدن الكبيرة وكثير من أمهات القرى الإنجليزية ، تبذل من العناية والمال فى ذلك ما كانت تبذله أثينا وغير أثينا من مدن اليونان القديمة . بل ربما زادت عليها كثيراً

وكانت كل نقابة تصنع مسرحاً متحركاً فوق عجلات أربع أوست ، مركب من طابقين يستعمل المثلون السفلى منهما لتبديل الملابس ولعمل الدمام (المكياج) وتؤدى التمثيليات فى الطابق العلوى . وكانت هذه العربة أو الـ Pageant تطلى بألوان غريبة تلفت النظر ، وكانوا يستعينون على تكوين المناظر بوسائل فجة ، فكان السحاب مثلاً يرمز إليه بأقمشة داكنة أو بيضاء حسب المنظر المطلوب . فإذا كان المراد أن يبرز ملاك من بين السحب انفجرت سحابتان وبرز من بينهما تمثال خشبى لهذا الملاك ؛ أما الشجر فكان يمثل بأشجار اصطناعية ، وكذلك البيوت والمدن والقلاع والحصون . كما كان يرمز إلى الجحيم بوجه كبير مسخ ، ذى أنف أحمر ضخم ، وفم مهول تبرز منه أنياب مرعبة متحركة . أما العينان فكانتا كوّتين كبيرتين فى هذا الوجه ، وكان يوضع خلفهما مشعلان فينفذ اللهب من الفجوتين فيضاعف فى شناعة ذاك الوجه . وكانوا يستعينون ببرميل ضخم يطبلون داخله بآلة لأحداث صوت الرعد ، أما العواصف فكانوا

يحدثونها بنفخ قرب كبار تشبه منفاخ الحدادين ، ثم يسلطون الهواء المنبعث منها على أقمشة رقيقة فتوهم الأثر المنشود

وكانت الجياد تجر هذا المسرح من حى إلى حى ، ومن ملتقى شارع كبير بشارع كبير آخر ، ومن ميدان إلى ميدان . وفى كل من هذه (المواقف) تمثل رواية من تلك الروايات القديسية فيجتمع الناس ، ويتزاحم الشعب بالمناكب ، ويتركون متاجرهم مدفوعين بعامل حب الاستطلاع ، والتفرج بالمجان بهذه الفُرَج المليحة التى تنشر الهدى ، وتسكب النور فى ظلمات القلوب ، وتفتح أبواب الجنة للضالين ، على حد ما وصف أحد القسيسين تلك المسارح . وكان الجمهور لهذا السبب ينتظر أعياده ويرتقبها بصبر فارغ وتشوف عظيم ، لينعم بشهود تلك الدرامات التى يلتمس فيها مُثُله . وكان التمثيل يبدأ قُبيل العيد بأيام وينتهى بُعيده بأيام أخرى ، ولذلك فطالما كانت الأعياد الدينية تنقلب فتكون مواسم تمثيلية يتثقف بها الشعب ويتصل فيها بالقديسين والشهداء من أبطاله الدينيين اتصالاً وثيقاً . وكانت النقابات تبتكر الوسائل الممكنة للحصول على المال الذى هو عصب كل مشروع يرجى نجاحه ، فلما آنست من الناس هذا الإقبال على شهود دراماتها ، لم تر ضيراً فى أن تنتهز تلك الفرصة لتعرض مشروع (المزاد التمثيلى !) وكان ذلك فى سنة ١٤١٧ فالحى الذى يعطى مزاداً أضخم من الحى الآخر هو الذى يفوز بتمثيل الروايات فيه ، والمنزل الذى يهب النقابة مبلغاً أكبر هو الذى يسعد بوقوف المسرح المتنقل قريباً منه ليسهل على أهله التفرج والاستمتاع فى هدوء وراحة وإدلال على الناس

وقد وفّقت النقابات إلى تنظيم العمل فيما بينها ، وتقسيمه تقسيماً لا يضر بكيانها ، ذلك الأضرار الذى يسببه التنافس أحياناً مهما يكن تنافساً شريفاً مشروعاً . وكان يراعى فى ذلك التقسيم أن تتناسب الدرامات ونوع المهنة التى تمثلها النقابة ، ففى عيد الفصح Easter تمثل نقابة الدباغين درامة « سقوط الشيطان » The Fall of Lucifer ، وتمثل نقابة تجار الأقمشة درامة « الخلق والسقوط » Creation & Fall فى حين تمثل نقابة السقائين أو نقابة صيادى السمك درامة « طوفان نوح » . وكانت بعض هذه الدرامات تنال من استحسان الجمهور ما يقتضى استمرار عرضها وتمثيلها مرات متتالية أياماً متوالية ، فقد حدث أن استمر عرض رواية « أمور من قصة خلق العالم » ثمانية أيام متتالية ، وذلك فى عهد الملك هنرى الرابع سنة ١٤٠٩ فى حى إسلنجتن بلندن . ولم تكن هناك أية عناية أو احتفال بالمناظر المسرحية المعروفة اليوم ، فى حين كانت العناية الفائقة قاصرة على الملابس ، والأدوات التى لم يكن بد من استعمالها أثناء الأداء ، فهنا كانت النقابات تنفق عن سعة ، ففى رواية « يوم العدالة » مثلاً ، وهى من أكثر الروايات فى الممثلين عدداً ، كان الممثلون الذين يؤدون دور « العاصين من أهل جهنم » يرتدون ملابس من الكتان صبغت بالأصفر والأسود والأحمر إشارة إلى الألوان السائدة فى الجحيم . أما الممثلون الذين يؤدون دور « الأرواح السعيدة الناجية » فكانوا يرتدون ملابس بيضاً من الجلد الرقيق المدبوغ ؛ وإذا تصورنا عدد أولئك الممثلين فى مثل هذه الرواية ، أدركنا المبلغ الضخم الذى كانت تصل إليه أثمان ملابسهم المصنوعة من تلك الجلود الغالية ، وذلك بالإضافة إلى أجور الممثلين التى كانت تتراوح بين أربعة عشر بنسا وأربعة شلنات ، وهى تسوى عشرة أضعافها بعملتنا الحاضرة . . .

ومن الروايات التى كان إخراجها يتكلف كثيراً من النفقات نوع تنكرى يسمى الماسك Masques ومنه النوع التنكرى الإنجليز المسمى Disguising والذى كان الممثلون يرتدون فيه أغلى أنواع الملابس وأشدها بريقاً ولمعاناً ـ وقد أتى هذا الطراز إلى انجلترا من إيطاليا ثم انتشر فى عصر الملك إدورد الثالث ، ثم ألف فيه المسرحى الإنجليزى العظيم بن جونسون الروائع والغرر

ولعل أقدم الدرامات القديسية التى وصلتنا من هذه العصور هى تلك الدرامة المسماة « القديس نيقولا » St. Nicolas والتى ألفها باللاتينية أديب إنجليزى من أدباء القرن الثانى عشر اسمه هيلاريوس وقد أهداها إلى كنيسة القديس المسمى باسم درامته . وملخصها : أن رجال الكنيسة فى عيد هذا القديس يرفعون صورة القديس نيقولا من موضعها فى الكنيسة ، ثم يجلس فى مكانها ممثل بارع يستطيع أن يضبط حركاته ويحبس أنفاسه بحيث يظن من يراه ، بل يتأكد ، أنه تمثال وضع هناك للقديس صاحب الكنيسة ؛ وحينما تنتهى الصلاة وتعقبها تلك

المشكلات

٤ ـ اللغة العربية

للأستاذ محمد عرفة

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

فى الأمثال العربية — قتلت أرض جاهلها ، وقتل أرضا عالمها — ومعنى ذلك أن من سلك أرضا وكان جاهلاً بطرقها ضل وهلك ، ومن سلك أرضاً وكان عالماً بمسالكها قطعها ونجا منها . وهذا لا يختص بالأرض والمسافر ، بل يعم كل من يزاول أمراً من الأمور ، فإن زاوله عالماً به تغلب عليه ، وإن زاوله عن جهل خاب فيه

للعلم سلطانه القاهر ، والمتسلح به متسلح بسلاح الظفر ، وللجهل عثراته الموبقة ، والمتسلح به متسلح بسلاح مفلول . إن الأمم التى تحل مشاكلها مستضيئة بنور العلم تنجح فيما تحاول ، وتتغلب على الصعاب التى تعترضها ، والأمم التى لا تستهدى العلم ولا تستشيره فى مشكلاتها ، لا تكاد تحل لها مشكلة

وما الفرق بين الأمم المتحضرة والأقوام الهمج ، إلا أن الأولى آمنت بالعلم وبسيطرته على الوجود ، فسعت للكشف والمعرفة ، وكلما علمت شيئاً استفادت منه فى حياتها ، وأن الثانية لا تؤمن هذا الإيمان بالعلم ، ولا تعترف له بهذه القدرة ، فهى تحل مشاكلها بما يأتيها به عفو الخاطر ، فتعثر دائماً وبلج بها العثار

وخير علاج ما يكون مبنياً على طبائع الأشياء ، فأول ما يبدأ به معرفة طبيعة الشىء ، ثم يعالج على حسب هذه الطبيعة وبنور هذه المعرفة

وعلى هذا فخير ما يعمل لحل مشكلة اللغة العربية أن تعرف طبيعتها ومن أى جنس هى ! وما خصائص هـذا الجنس ! وقد أدركت ذلك واقتنعت به ، وتريد أن نقنع به القراء

قضيتان إن آمنتم بهما سلمتم معنا بما نريد : إحداهما أن اللغة فى المتكلمين بهـا ملكة . ثانيتهما أن الملكة لا تكتسب إلا بالتكرار لا بالقواعد فحسب

إذا استطعت أن أقيم الدليل على هاتين القضيتين وصدقتم بهما وجب أن تصدقوا أن اللغة لا تكتسب بالقواعد فحسب ، بل بالتكرار والحفظ والمحادثة ، وسأحاول ذلك فيما يأتى :

اللغة : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . والتعبير باللغة والفهم عنها يقتضى أمرين :

١ — السرعة ؛ فكلما خطر بباله معنى خطر اللفظ الدال على مفرداته ، وخطر التركيب الدال عليه فى وحاء ، وكلما سمع جملة فهم معانى ألفاظها وما يدل عليه التركيب

٢ — الإجادة ؛ وذلك بأن يكون جارياً على قوانين هذه اللغة لا يخطىء فيها ، وذلك لا يكفى فيه أن تكون اللغة معلومة فحسب ، بل لا بد أن تكون ملكة ، أى حالة راسخة فى النفس ، لأنها إذا كانت معلومة علماً ساذجا ولم تصر ملكة ، وأراد المتكلم التعبير عن معنى ، فكر وروى فى اللفظ الذى يدل على ذلك المعنى ، واستعرض الألفاظ المخزونة فى حافظته حتى يعثر به ، ثم فكر فيما يعلمه من تراكيب هذه اللغة ليختار التركيب الذى يفيد ذلك المعنى ، ووضع اللفظ فى هذا التركيب ، وأعطاه الأحوال المناسبة ، وذلك يقتضى جهداً وزمناً ، وربما ينقضي بياض النهار وسواد الليل فى تعبيرين أو ثلاثة ، ما دامت اللغة علماً ساذجا . أما إذا عمقت إلى أن صارت ملكة ، فانه إذا أراد التعبير عن معنى انثالت عليه الألفاظ ، وانثالت عليه التراكيب دون جهد ومشقة ، سريعاً لا يبطىء ، مصيباً لا يخطىء

وقياس ذلك قياس العامل الذى يصف الحروف للطبع ، فانه إذا كان مبتدئاً واقتصر على العلم بأمكنة الحروف ، وأراد بعد هـذا العلم الساذج أن يصف حروف كلمة اقتضاه ذلك من

اللحظة من الصمت الرهيب ، يقبل رجل كافر لا دين له من أغنياء المدينة ، مختالاً فى ملابسه الزاهية ، حاملاً كيساً كبيراً فيه جواهره ونقوده ، حتى إذا وصل إلى حرم القديس ألقى حمله عند قدمي التمثال وسأله فى تأدب واحتشام أن يحرسه له حتى يئوب من سفره ... لكن لصوصاً يسرقون ثروة الرجل ... ويعود الكافر فلا يجدها ... ويجن جنونه لهذا السبب ، ثم يتناول سوطاً فيلهب به كتفى القديس الذى ينزل من مقامه فى تؤدة ووقار على الرغم من السياط التى تمزق جلده ويذهب نحو اللصوص فيخاطبهم ويعظهم وما يزال بهم حتى يردوا كيس الرجل ... ويعود القديس إلى مجلسه ويتربع عليه ، فيخر الكافر نادماً ... ويؤمن من فوره .

(يتبع) دريني خشبة

التفكير والجهد والزمن ما ليس بالقليل ، وربما انقضى اليوم ولم يصف إلا بضع كلمات

أما إذا تجاوز ذلك إلى أن صار ملكة ، فانك ترى يده تلقط الحروف من هنا ومن هنا ، وفكره يسبق يده ، ويده تسبق فكره ، حتى يصف في الدقيقة عدة كلمات

وهذا شأن الملكات كلها تأتي بالشيء في عجلة وإتقان ، وتريك العجب العجاب ، ترى الأمر الذي له أجزاء كثيرة ويحتاج إلى فكر في هذه الأجزاء يأتي به صاحب الملكة دون فكر كأنما هو ساحر يأتي بالخوارق

رآني صديق أمي ، كان قد بدأ في تعلم القراءة والكتابة أقرأ ، فهالته السرعة والإصابة ، فقال أتظنني أصدقك في أنك تقرأ من هذا الكتاب ؟ لا ، إنك تقرأ من حفظك . أمجنون أنا حتى أصدق أنك تقرأ ما لا تحفظ ؟ أفي هذه السرعة تعلم ما هذا الحرف وما الذي يليه وهكذا وتعلم حالاته أمفتوح أم مضموم أم مكسور أم ساكن ، وإن تركيب ذلك يكون كذا ؟ وهبك عرفت هذه الكلمة فكيف تعرف صاحبتها بهذه السرعة ، وكيف تجمع من الحروف كلمات ومن الكلمات جملاً ، منطلقاً كالسهم ، مصيباً كالقضاء ؟

وهذا تفكير سليم لو أغفلنا من حسابنا أمر الملكات ، ولكن الملكات كائنات من كائنات هذا الوجود ، ولها هذا الفعل الغريب ، والسحر العجيب . إن النجار الذي اكتسب ملكة النجارة يأتي بأعمال أشد إتقاناً وأسرع ممن لم يكتسب ملكة النجارة . إنه يدق المسمار بالقدوم مائة مرة ، فلا تخيب منها مرة ، حتى أن صاحبه ليمسك له المسمار وهو يدق آمناً أن تفلت منه ضربة فتصيب يده ، ومن لم تكن عنده ملكة النجارة يدق مائة مرة فلا تصيب رأس المسمار منها واحدة

وإن المرء ليعجب للحائك كيف يسلك الخيوط في الخيوط المشدودة بحركة سريعة وإتقان عجيب لا يدخل الخيط في غير موضعه المراد له ، ولا يعقد ولا يقطع . وإن الملكة لتدخل في أغلب أعمالنا فتجعلها أعظم إتقاناً وأسرع ، وتجعلنا نأتي من الأعمال ما نحتاج إلى آلاف السنين لنعمله لو لم تكن عندنا هذه الملكات . فبالملكة نكتب ونقرأ ونتكلم ونحسب ونعمل في الصناعات المختلفة من حياكة وخياطة ونجارة وحدادة وطباعة مع الإسراع والإجادة والإحسان

ولولا الملكات لما قمنا بهذه الأعمال وسواها إلا مع الخرق والإبطاء كما أريناك في صفاف الحروف الذي لم يكتسب ملكة في صنعته . وإن الزمان لأسرع من أن ينتظرنا ، وحاج الحياة شديدة الإلحاح تتطلب السرعة والإجادة ، وإن قوة المرء محدودة لا تفي للعمل بدون ملكة لأن ما كان من الأعمال كذلك يقتضي من المرء جهداً ومشقة وتفكيراً تستنفد من قوته ومن دمه وأعصابه ما هو بحاجة إليه

وإنها لحكمة من الله عظيمة أن يخلق فينا الملكات فتجعلنا نجيب مطالب الحياة المتعددة بأقل ما يكون من الزمن ، وأيسر ما يكون من الجهد ، وأسرع ما يكون من العمل ، لا سيما حاجة التخاطب . فالله أرحم بعباده من أن يقف التخاطب على هذه الجهود المضنية ، والمتاعب الشاقة ، والتخاطب عمل دائم ، لا تنقضي منه حاجة حتى تتجدد حاج ، ولا يفرغ المرء من خطاب حتى يستأنف خطاباً آخر ، ولا يفرغ من فهم خطاب إلا إلى فهم مخاطبات أخرى وهلم جرا ...

لقد قلنا الآن ما يمكن قوله في أن اللغات في الناس ملكات يقتدرون بها على الإفهام والفهم ، وأظن أن القراء آمنوا بذلك لما أوردته من الأدلة

وقد بقي أن أقول في القضية الأخرى وهي أن الملكة لا تكتسب بقواعد وإنما تكتسب بالمزاولة والتكرار

إذا استقريت الملكات ولاحظت كيف تتكون علمت أن الملكة لا تكتسب إلا بالدأب والمرانة وتكرار العمل لا بالقوانين والعلم المجرد . لاحظ صناعة صف حروف الطباعة تجد أن العامل إنما يكتسبها بمزاولة صف الحروف والتقاط الحرف من مكانه المخصص له وتكرار ذلك حتى تكتسب الملكة ، وليس يكسبها بالعلم المجرد بأن من أراد صف كلمة فليأخذ حروفها المتعددة من أماكنها المخصصة لها وهكذا فإذا أتم صفحة وضعها بين ضاغطين ليمنعاها من الشتات والانفراط

لاحظ صناعة الموسيقى تجدها لا تكتسب بقوانينها الفنية فحسب ، فلا تكتسب بقول الأستاذ اضرب بالخنصر والبنصر والسبابة وشد الأوتار ؛ إنه بذلك لا يكون عازفاً ولا موسيقياً إنما يكون موسيقياً إذا زاول هذا الضرب مراراً وتكراراً ، فأكسب أصابعه المرونة والسرعة والاستجابة لما رسمه في وعاء ، ثم أكسب نفسه وذوقه بذلك الملكة في الموسيقى وفنها الجميل

تصويبات فى الذخيرة

لابن بسام ، المجلد الثانى ، طبع كلية الآداب

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

أخى الدكتور عبد الوهاب عزام

كان من حظى أن أكتب عن « الذخيرة لابن بسام » فى مجلة المقتطف شهر يوليو سنة ١٩٤٣ كتابة سمح بها المجال المحدود . وقد أثنيتُ فيما كتبتُ على جهدك وجهد إخوانك الذين قاموا بضبط هذا الكتاب النفيس وتحقيقه ، ولقد وعدت أن أبعث إليك بكتاب خاص أصحح فيه بعض أخطاء فى الطبع وقعت فى الكتاب على الرغم مما بذلتم من الجهد المشكور . إلا أننى فهمت من مقال لكم بالرسالة أنك بعيد عن القاهرة إلى ثغر لا أعرف عنوانك فيه ، فرأيت أن ألقاك على صفحات الرسالة لقاء عاماً لا يغضبك لأننى أعرف عن رحابة صدرك وسماحة خلقك وحبك للعلم ما لا ينزلك منازل الغاضبين من أهل الادّعاء

ولأننى لقيت قبلك الدكتور محمد مصطفى زيادة لقاء عاماً فى العدد (٥٢٢) بشأن تصويبات فى « كتاب السلوك » فما غضب ولا سخط كما يفعل المغرورون ، ولكنه سُرَّ وفرح وسعى إلى ليشكرنى أمام الأستاذ أحمد الشايب وبعض الزملاء ؛ فأكبرت علمه وتواضعه . ولا شك أنك ستهلل لهذا اللقاء لأنه يسرك أن يكون العمل الأدبى الذى أشرفت عليه أنت وإخوانك الكرام فى « كتاب الذخيرة » عملاً يقرؤه الأدباء والمتأدبون فيرضون عنكم ويستزيدونكم لتخرجوا كنوز تراثنا العربى سليمة مما يشوهها أو ينتقص من جمالها

ولا أحب فى هذا المقام أن أكون مذيماً ، أو تفهم أنت يا أخى أنى مذيع لهفوات فى الكتاب لم تقصدوا إليها ؛ ولكن الله شاء — كما يقول محمد بك رشدى فى كتابه فن القضاء — أن يحكم على الكتاب العربى ألا يكون سليما من أخطاء الطبع وألا يخلو من جدول للخطأ والصواب ، وألا يسلم من قيام بعض القراء على تصحيحه مهما بذل فيه من جهد . وذلك شىء لا يكاد يوجد فى الكتب الأجنبية التى تعرَفُ عنها كثيراً ، وتقرؤها كثيراً فلا تجد الـ H وضعت فى موضع الـ K ، ولا تجد الـ M نزلت

ولو مكثت طول عمرك تقول لمتعلم الحياكة شد الخيوط طولاً وأدخل فيها الخيوط عرضاً ذاهباً يمنة وذاهباً يسرة لما تعلم بذلك شيئاً من الحياكة ؛ إنما يتعلمها بمزاولة هذه الأعمال حتى تكتسب يده الخفة والمرانة

ولو رددت على متعلم السباحة قولك اركض برجلك اليمنى فى الماء ، واضرب بذراعيك ، لما تعلم بذلك السباحة ، ولو سبح معتمداً على هذه القواعد لأدركه الغرق ولذهب ضحية القواعد والقوانين

الآن علمنا أن اللغة فى المتكلمين ملكة ، وعلمنا أن الملكة لا تكتسب بالقواعد ، إنما تكتسب بالمرانة والتكرار ، فيلزمنا شئنا أو أبينا الإقرار بأن اللغة لا تكتسب بالقواعد ، إنما تكتسب بالحفظ والتكرار وهو المطلوب الذى حاولنا إثباته

أرأيتم أننى كنت مصيباً حين قلت يجب أن نحل مشاكلنا بالعلم ، ويجب أن نعرف طبيعة الشىء وخصائصه لنبنى الحل على هذه الطبيعة ؟

أرأيتم كيف كنا نعلم اللغة على غير طبيعتها ، أرأيتم كيف كنا نمثل دوراً مخجلاً ، فكنا كمن يطرق الحديد وهو بارد فيشقى ثم يشق والحديد لا ينطرق معه ولا يلين ، فيهزأ منه من يراه ، ويضحك ملء شدقيه ، ويرى كيف يشق الجهل بطبائع الأشياء صاحبه ، ثم لا يحظى بطائل ولا كبير فائدة

اكثروا من المطالعة فى كتب الأدب . احفظوا الكثير من أشعار العرب . احفظوا ما تقدرون عليه من الخطب . ارووا الأمثال السائرة ، والنوادر البارعة ، والرسائل البليغة ، والمحاورات العذبة . اخلقوا فى بيئتكم المدرسية جواً عربياً لا تتحاورون فيه إلا بالعربية ، فإن لم يكن ذلك فى جميع الدروس ففى دروس اللغة العربية

لتقوموا بروايات تمثيلية تحفظون أدوارها ، وتستظهرون محاوراتها ؟ وليمثل كل منكم دوره باللهجة العربية والتوقيع الخطابى

لا تكتفوا فى العام الدراسى بحفظ مقطوعة أو مقطوعتين ، ولا برسالة أو رسالتين ، بل فلوا دواوين الأدب واختاروا واحفظوا وأسرفوا فى الحفظ ، وطالعوا وأسرفوا فى المطالعة ، واكتبوا الرسائل ، وحبروا المقالات على نمط ما تحفظون وغرار ما تألفون

بذلك وبذلك وحده تحوزون ملكة اللغة ، وتملكون زمام البيان .

محمد عرفة

منزل الـ N ، كما نجد فى الكتاب العربى كلمة ميزاب وضعت موضع ميراث ... ولا أزيدك !

ورد فى صفحة ١٠ سطر ٤ البيت الآتى :

أبالك أن تُهاض علاك عهدٌ   هشامىٌّ وجــدٌّ هاشمى

وأبالك هنا فعل ماض يكتب بالياء لا بالألف ومضارعه يأبى . أى أن الذى منع علاك هيْضَ علاك علو شرف آبائك .

وفى ص ٣٨ س ١٧ « أعطى الملكَ محبٌّ » بشدة فضمة . والصواب بضمتين هكذا « محبٌ »

وفى ص ٣٩ س ٦ ذكرتم ابن فتُّوح بشدة على التاء . ولكن فى ص ٢٧٤ عدتم فذكرتموه ثلاث مرات بضمة على التاء من غير شدة ، فأيهما الصحيح ؟

وفى ص ٤٠ س ١٥ :

لما رمته العيون ظالمةً   وأثَّرتُ فى جماله الحدقُ

والصواب : وأثَّرتْ بتاء التأنيث الساكنة لا بتاء المتكلم

وفى ص ٤٣ هذا البيت الناقص :

... ... فقلت لها   يا قلبها أحديد أنت أم حجرُ ؟

ولم تكملوا هذا البيت الناقص على كثرة المراجع فى مكتبة الجامعة وقد عجزت أنا وكثير من الأساتذة والأدباء عن إكماله . فلعل من قراء الرسالة من يكمله ؛ وهو ـ كما جاء فى الذخيرة ـ للمأمون الحارثى .

وفى صفحة ٤٤ س ١٣

قتــلوا قرة عينى   ومنْ أجلى قتلوه

ووضع السكون على من يكسر البيت والصواب وضع فتحة على النون وجعل الهمزة فى كلمة أجلى همزة وصل . ومثل ذلك ما حدث فى ص ٦٩ س ٤ ؛ فالشطر :

وخذ على الربق منْ أسبابه

صوابه : وخذ على الربق مِنَ اَسبابه ـ بجعل همزة أسباب همزة وصل وفتح النون من كلمة من

وفى صفحة ٧٧ س ٢ ، ضبطتم الفعل مُت بضم الميم والأعلى كسرها كما فى قراءة حفص « يا ليتنى مِت قبل هذا »

وفى ص ١٣٣ س ١٠ « أن لم أجد التأبينَ فأُجدْ البكاء والحنين ، وأن لم أحسن التملقَ والأطراء فأُحسنْ الخلوص والدعاء » ، ولم أجد منكم تعليقاً على الفاء هنا فى جواب الشرط فليس ذلك من مواضعها ، وما الذى جزم الفعلين أجدْ وأُحسنْ ؟

وفى ص ٢١٥ س ١٦

عَساكِ بحق عيساك   مَريحة قلبيَ الشاكى

بفتح الميم من مُريحة . والصواب ضمها لأنها اسم فاعل من الفعل أراح من الراحة

وفى ص ٢٢٢ س ١

فكم صافحتنى فى مُناها يد المنى   وكم هب عَرْفَ اللهو من عَرَفاتها

والصواب مِناها بكسر الميم ، وهو المكان المشهور فى الحجاز بدليل كلمة عرفات فى الشطر الثانى

وفى الصفحة نفسها س ١٢

ولى أمل أن يُسعِدَ السعد نلتُه   ويَفهَمَ سرَّ النفس فى رمزاتها

والضبط كله مُختل وصوابه :

ولى أمل إنْ يُسْعِدِ السعدُ نلتُه   ويُفْهَمُ سرُّ النفس في رمزاتها

لأن كلمة إن فى الشطر الأول شرطية ، فهو يقول إن ساعدنى الحظ السعيد نلت أملى . والفعل يُفهم مبنى للمجهول وكلمة سر نائب فاعل ، والمعنى أن سر النفس يُفهم مما ترمز به .

أما تعليقكم على هامش الكتاب رقم ـ ٥ ـ فلا معنى له .

وفى ص ٢٣٠ س ١٠

دَوَيْنِ الكثيب الفرد قُضبٌ وكثبان

والصواب دُوَيْنَ بضم الدال وهى مصغر كلمة « دون »

وفى ص ٣٢٢ س ١١ هذا البيت

لم أر أن أكون من رواته   إذ هو ممــدود فى هناته

والبيت كما ترون مكسور فى شطره الثانى ، ولم أعرف صحته

وفى ص ٣٢٨ س ١٥ « ونورها إذا مُتنا بنينا » والصواب مِتنا بكسر الميم كما تقدم

وفى ص ٣٣٦ س ١٠

لم يَحْبُكِ نائلَكِ السحابُ وإنما   حُمَّتْ به فصبيبها الرخصاء

والصواب الرحضاء بالحاء المهملة والضاد المعجمة

وفى ص ٣٣٨ س ١

من نوابغ الأدباء الشعراء فى الأدب الفرنسى

جان دولافونتين
LA FONTAINE
(١٦٢١ — ١٦٩٥)

بنــو آدم كالنبت ونبت الأرض ألوان
فنهم شجر الصنـد ل والـكافور والبان

للأستاذ محمد حسنى عبدالله

تمهيد لعبانه العقلية بعبانه العاطفية

كان لافونتين قد أربى على الستين من سنى حياته عند ما صادف ذات صباح الآنسة « بوليو » وهى فى جلال ربيعها الخامس عشر . فإذ ملأ عينيه من جمال لها يموج فيه الظرف ، ورواء وحسن يبهران الأبصار ، عرته بهتة وذهل عن نفسه ، فهام على وجهه على غير هدى حتى التوت به الطريق واستغلقت عليه معالمها . وما زالت به الهيمة وقصاراه ترديد صورتها إلى أن أطبق عليه المساء وهو بعد لا يشعر أنه قطع مسيرة يوم مذ صادفها من مطلع الشمس إلى مغربها . ولم يكن يومه شاقاً ولا عسيراً . فهو يوم للحسن ملكت دولته خيال الشاعر كما فى أى يوم مضى من شبابه . فقد طالما تعود أن يتذوق الجمال وأن يمضى مع أحلامه وهو يصوّر روائعه لخياله غافلاً عن الوقت ومره ، والطريق ومعالمها ، والحياة وصخبها ما التذ بالسير والخيال . وإنما كان يومه غريباً فهو لم يضل سبيلاً قبله . فكم من أرض قطع وكم من حزن أجاز وبطن هبط وهو فى مسابح الأحلام ، وفى كل مرة كان أهدى إلى بيته من قطاة . ولكن هزة الجمال الفتىّ أضلت ، هذه المرة ، الستين عاماً التى ينوء منكباه بحملها فما عاد يعرف سبيل الرواح حتى التقى بخادمه عند الطريق . فعاد به إلى وكره . فلم يك بعد هذا ليبرح فراشه أياماً ثلاثة وهو ما يزال متأثراً بالوجه الصبوح الذى أهلت عليه فتنته بما لم يعهده من قبل فى سلطان الجمال . وهكذا ما زال شيخنا مع الستين شاب القلب فتى العواطف . ولهذا معناه فما استهللت بهذه الأقصوصة إلا لتبيان أخص ما فى خلق هذا الأديب الشاعر .

فقد أصبح سهلاً الآن أن نستوضح تقديره للجمال لدرجة الافتتان به لمجرد الجمال ، إلى جانب بوهيميته ويسر أخذه للحياة من مجرد تصرفه حيال رؤيته للصبية ترفل فى الحسن . فهو إذ رآها قنع بمرآها وبصيان صورتها فى ذهنه وبالخلاص من هذا بلذة معنوية حرفة فلم يممد إلى مجاذبتها الحديث وعقد أواصر المعرفة معها تمهيداً لحاجة مادية — فهذا أبعد ما يكون عن طبعه — فهو إذن معنى بالجمال لذاته . كذلك إذ قنع بهذه الشحنة المعنوية لأحلامه ، اندفع فى السير على غير متجه ، وخبط فى الأرض خبط عشواء ، وهذا يفسر جانب البوهيمية فى سجاياه . ثم أمضى يومه كله معنياً بما عاين لوقته ، يسرح فى رياضه سائم الطرف والبال ، فأضاع يومه حالماً وما أيسر تناول الحالمين

فإن كسدت أعلاق علمى عليهم
فلا غرو أن يكسد لدى النعم الشذر

والصواب إن يكسد لأنها إن الشرطية

وفى ص ٣٨٦ س ١٣

أيهـا العائب العـذا ر وذو الجهـل عائبه

بتنوين اللام الأخيرة من كلمة الجهل ، والصواب حذف التنوين

وفى ص ٣٩١ س ١٥ « فشبه تبرك مُنْـلُوا » . ولم أفهم معنى هذه الـكلمة ولعلها مجلوًّا كما فى الهامش

وفى ص ٣٩٤ س ١٥

أو تباكر صَيْدَ ألها فابنُ حجر
أو تبكّى الديار فابن خذام

وابن حجر هو امرؤ القيس الشاعر الجاهلى فهل هو بفتح من حجر كما ضبطتم ؟ والياء فى الفعل تبكى لا داعى لها لأن الفعل مجزوم عطفاً على ما قبله . والصواب كتابتها هكذا «أو تُبكِّ» ولا ينكسر البيت على هذا

وفى ص ٤٠٢ س ١٨

قل لأبى يوسف المنتقى الفاضل الأوحد فى عصره

وضبط الفاء من يوسف بالفتح خطأ ، لأن البيت ينكسر على هذا الضبط ، والواجب أن ينوّن هذا العَلَم « أى يصرف » ليستقيم الوزن ، فالأبيات من بحر السريع كما لا يخفى

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد عبد الغنى حسن

للحياة . ولندعه الآن يسرد بقية القصة بنفسه لعلنا ندرك فى قوله مزيداً إذ فسر لصديق عاتبه ، سر انحجازه عنه هذه الثلاثة أيام التى توارى فيها فقال :

« لِمَ لم تتقصى يا صديقى أسباب انحجازى عنك طيلة هذه الأيام الثلاثة فأفضى إليك بدخيلة نفسى ؟ ... إذن لقلت لك بلا مواربة إننى وأنا المسن لم أملك دفعاً لإغراء صبية أغرانى بالحلم فيها جبينها وربيعها الخامس عشر ، وعيناها الزرقاوان ، وطراوة بشرتها الوردية ، وسحر قسماتها ولحاتها الذكية . ثم لأمتك بعد القول حكماً باسم الجمال »

إلى هذا الحد من قوله قد تُشتم رائحة الإعجاب البدنى حرفاً ولكنه يعود فيجلو لنا الجانب الساحر الرقيق من طبعه :

« ولكن ... لو أن هذا المخلوق الإلهى الصغير الذى عكر صفو راحتى وهدوء شيخوختى قد صادف نصفه الحقيق به ، لكنت أنأى الناس عن الحقد عليه . بل لكان هناءة لعينى أن أراه وحبيباً من لدانه ... ولو أنه هزأ ضاحكاً من إعجابى به لما اضطغنت عليه ... وإلا فلم كان أمثالى من الشيوخ الوامقين... أليس لإضحاك الحسان من الصبايا ؟ »

وههنا ما يستلفت الأنظار . فلافونتين لا تستأثر بقلبه الأثرة التى هى العنصر الغالب فى عاطفة الحب . فهو يتمنى لكاعب زلزلت عنده وقار الشيخوخة وألهبت فيه برد عاطفتها كل توفيق مع حب غيره يكون أصلح وأنسب لفتاها وأليق لصباها . ثم هو يسخر من نفسه فى يسر ورخاوة وقلة اكتراث كمن يهزأ من امرئ لا تربطه به رابطة أو صلة . ويصرح بعاطفة كان أولى به كتمانها فى سن تدعو تجاربها وحنكتها إلى صيان ما بالنفس للنفس والتزام جانب الصمت والظهور بالمظهر اللائق بها من الاتزان والرزانة والتعقل . وهذا كله شىء يجعل فهمه ميسوراً لأول وهلة

فقد عاش أبداً ، بوهيمياً ، صريحاً ، بواحاً بسره ، ينكره الاستقرار وتجافيه العاطفة الراسخة رسوخ الرواسى ـ فركب الهوى وأعجب بمثات الحسان مثل هذا الإعجاب العارض . ولكنه لم يصادف أبداً هذا اللون المنيف من الحب الذى يقتصر فيه صاحبه على واحدة يكاد حبها يُورده موارد البوار والتلف . فكان أبداً كالنحلة عسلها فى كل زهرة ، يرى هذه فيعلق بها فؤاده

يوماً أو يومين ، يحلم خلالها أحلاماً هنية ، ويرى تلك فينسى الأولى ، وهو بين هذه وتلك فى دولة الخيال فى شاغل عن الصلة البدنية بالصلة الروحية ، سعيد بصور الحسان تتوارد جملة على مخيلته . فكأن السعادة بذلك همه ، وخلو البال من الأزمات المقضة للمضاجع شاغله ، وكأنه من ذلك فى عالمه الخاص يُعد لرسالته الأدبية المتنوعة شحنة من الفكر المنطلق الحر فى نأى عن حب فردٍ ملح يحصر مناطق الفؤاد الذكي ويحدها .

لافونتين فى البحث عن لافونتين

وامرؤ لا يعرف قلبه وخياله الحد ليس من ريب فى أن عقله كذلك لا يعرف الحد . فآفاق العاطفة المترامية تفسح للعقل فى مدى واسع يحار فيه . لذلك جهد لافونتين فى تعرف هويته العقلية . ولم يكتب لهذا السبب عن نفسه إلا متأخراً فى الثامنة والثلاثين من عمره . فهو إذن قد صرف حقبة طويلة من عمره فى درك الأشياء وتفهمها والإلمام بحقائق الحياة عملياً . فمال مع كل ريح ، بين جد ولهو ، يعنى بالجد ، فيكد ويحصل ويقرأ ويدرس منقباً باحثاً ، ويعنى باللهو فيحياه ويفهمه ويستمرئه . والتشوف بين هذا وذاك رائده ، وحب الاستطلاع يعقد رويداً رويداً الصلة بينهما ويحكمها

فلم يستمر تردد عقله بين أن يعيش للهو حريفا ـ وهذا شىء تدعو إليه طبيعته الحالمة ـ فيغنم الحياة من لذتها المادية ، وبين أن يعيش للعمل والجد فيغنمها من لذتها المعنوية . واستقر أخيراً ـ ولا متأخراً ـ على أن يمزج اللهو بالعمل وأن يجعل من شواغله مسرات ومن جهده يسرا

ولم يكن بد من مراحل يجوزها حتى يصل إلى هذه الغاية من ترك طبيعته على سجيتها وأخذها بالملاطفة واللين حتى أنتجت فيما يشبه اللعب ما لا طاقة لكثير غيره على إخراج مثله للناس ، وهم ألصق بالجد خالصاً ، وألزم للتثقيل بمضايقه على النفس . فكانت أولى المراحل عنده الاقتصار على تفهم ما يدور حواليه من أحداث الحياة وإعمال الفكر فى ألوانها المتباينة ، دون أى تفرقة منه بين هذه الأحداث وهذه الألوان تدور على مسرح الحياة وبينها تمثل على خشبة المسرح . فكأنها فى عينيه وهى تأخذ مكانها من مجرى الحوادث ملهاة مسرحية تستتلى فصولها اهتمامه وتستتبع تفكيره . حتى إذا ما نال من أتحف الموارف

وألطف المعارف ، وأدرك ماهية الأشياء وجوامع الحكم ، كانت ثمة مرحلة أخرى تفتحت فيها لأحلامه دنيا ساحرة لا يطرقها غير من أمدته الطبيعة بموهبة فكرية وأعدته لرسالة سامية في هذه الدنيا : مثل مرئياته واستوعب ضروب المعاني التي مرت عليه . فإذا قرأ لمالرب ولأفلاطون ولباروك ولتاس ولبوكاس ، وافته غاية المراحل تجرر أذيالها ألا وهي مرحلة الإنتاج — هذه المرحلة التي مزج فيها اللهو بالجد وقرن فيها التسلية بالعمل . وإنه ليقال أنه غدا شاعراً عند ما قرأ لمالرب قصيدة تمهدها الليالي حتى حفظها عن ظهر قلب ومن ثم طفق ينشدها لكل من صادف من الأصدقاء

تيقظت إذن في لافونتين ميوله الأدبية بعد أن تذوق دنياه وأخذ للأدب عتاده من القراءات المختلفة . فشرع يبحث عن نفسه في هذه الميول . فتناول بادئ ذي بدء « خصي تيرانس »[1] بالتعديل والتهذيب . غير أن ذلك لم يكن إلا محاولة فاشلة إذ تراوح فيها بين ترجمة وتقليد غير محكمين . ثم نظم ملحمة[2] ميثيولوجية تصويرية بذل في تأليفها من دهره ثلاثة أعوام ، وفاضل فيها بين الهات الفلاحة والتصوير والعمارة والشعر إلا أنها ليست مما يعتز به الأدب كثيراً

واتجه بعد ذلك نحو « أبليه Apulée » فجهد أن يقلد قصته « بسيشيه »[3] ، ولكنه تعمل فيها الأسلوب وتصنع فيها المرح الذي عرف فيما بعد في خرافاته في أكبر وضوح وسلامة وجمال فلم يكن طبيعياً مع ما تتطلبه القصة القديمة من الوقار والجلال ، فإذا محاولته رواية حديثة في أردية إغريقية لم يكن همها الإضحاك فأضحكت ولكن في استخفاف وسخرية . ثم عهد إلى « أدونيس[4] » شكسبير فتخذها موضوعاً لروايته بهذا الإسم . ولكن كل من قرأ أدونيس شكسبير فاستطعم صنوف الفكر التي تختال فيها واستلذ الألوان المضطرمة الحارة التي تمتزج بها لا ينبغي له أن يطالع « أدونيس » لافونتين

فالحق أن تصوير معالم البطولة الإغريقية وتبيان عبقريتها المستعصية وإظهار جلالها وجمالها ، كلها أعمال ليست من عمله . فرشاقته وظرفه ومرحه وخفته وملاحظته السريعة ، كل هذه لا تحتمل حجم عود الشخصيات الإلهية وإبرازها في ملاحم طويلة مسهبة

طال إذن ما بحث لافونتين عن استعداده الأدبي فلم يعثر عليه في كل ما ردنا من أعماله وإنما عثر عليه بعد لأي في الخرافة فوجد في قصر نفسها ما يلائم مقدرته على النظم المحدود والمفردات السهلة . وصادف في موضوعاتها ما يوائم مرحه — مرح الروح الفالية — وظرفه وأحلامه . فالتقى فيها لافونتين بلافونتين

لافونتين والخرافة Fable

ولكن لا تقذفن في روعك — مع ذلك — إن الخرافة عمل استحدثه لافونتين من مبتكره ومبتدعه . فقد سبقه إلى هذا الضرب من الأدب أيسوب Esope الإغريقي ، وفيدر phedre اللاتيني ، وكثير غيرهما من شعراء العصور الوسطى والقرن السادس عشر عند الفرنسة ، فلم يزد على أن نسج على منوالهم ودرج على آثارهم وإنما في أكثر لباقة وبراعة وإبداعاً مما جمل الأذهان تنصرف — إن ذكرت الخرافة — إلى أنه مبتدعها الفرد . وليست الخرافة إلا قطعة شعرية مأخوذاً موضوعها من صميم الحياة في تصوير عابر سريع إلا أن أدوار البطولة فيها مسندة إلى الحيوان وإن قصد تطبيق حالته في القصة على حالة الإنسان في الواقع بالقياس والموازنة . وعلى الخرافة التي تستوفي شروطها أن تتضمن قصة أخلاقية . وفي مدها بهذا اللون الفني يتمايز كل هؤلاء الخرافيون فينبذهم أبو الخرافة لافونتين . فقد اهتم أيسوب وفيدر بجانب واحد من الخرافة فعنيا بالأخلاق وانصرفا عن الوقائع القصصية انصرافاً أفقدتهم خرافاتهم عنصرها الفني . كذلك شعراء العصور الوسطى والقرن السادس عشر انصرفوا عن الأخلاق وعنوا بالتفاصيل القصصية عناية سلبت الموضوع لبه وجوهره ومسخت طعمه ومعناه . ولكن لافونتين ، شاعر القرن السابع عشر ، ألف بين الموضوع والأخلاق تأليفاً حقيقاً بالإعجاب والإكبار إذ جعل من الخرافة ملهاة أشبه بمسرحية أخلاقية مترامية المعاني من مائة فصل في بضع أبيات من الشعر الرائع .

(البقية في العدد القادم) محمد حسني عبد الله

(1) L'Eunuque de Térence (2) L'élégie aux Mymphes de Vaux (3) La Psyché d'Apulée (4) Adonis

بولاق

للأستاذ محمد رمزي بك

كتب المستر شارل جون هزويل الذى كان مديراً عاماً لمصلحة تنظيم القاهرة مقالة تحت عنوان القاهرة واتساع نطاقها وملاحظات عن تأثيرات نهر النيل وتغيراته وأرفق بها بعض الخريطات ، ونشرها فى منشورات الجمعية الجغرافية فى المجلد الحادى عشر الصادر فى ديسمبر ١٩٢٢ ، وقام بترجمة هذه المقالة إلى اللغة العربية الأستاذ محمود عكوش ، ونشرها هى وما معها من الخرائط فى العدد السادس من مجلة الهندسة الصادرة فى يونية ١٩٢٣ ، وبالاطلاع على الخريطة رقم ٢ الخاصة بتأثيرات نهر النيل وتغيراته تجاه القاهرة ظهر لى أن المستر هزويل اعتبر أن مدينة بولاق مصر كانت جزيرة فى وسط النيل ، وأنها كانت مشغولة بالمبانى ومسكونة وقت أن كانت جزيرة . ولما كتب المسيو مارسيل كليرجيه كتابه فى سنة ١٩٣٤ سار على رأى المستر هزويل ، واعتبر كذلك بولاق جزيرة ، وأثبت ذلك على الخريطتين المواجهتين لصفحتى ٢٧ و ٢٩ من الجزء الأول من كتاب القاهرة المذكور

وأقول أن ما تصوره كل من المستر هازويل والمسيو مارسيل لا أساس له من الصحة للأسباب الآتية ، وهى :

أولاً : إنه لم يرد فى المراجع الجغرافية ولا التاريخية القديمة أن بولاق كانت جزيرة ، ولم يتكلم عليها أحد من أصحاب كتب الخطط بوصف أنها جزيرة ، مثل جزيرة الروضة وجزيرة الفيل وجزيرة إروى وغيرها من الجزائر التى تكلم عنها المقريزى وغيره فى كتبهم

ثانياً : اعتاد الكتاب السابقون أن يذكروا كل طرح يظهر فى النيل أو على شاطئيه باسم جزيرة ، سواء كان هذا الطرح منفصلاً فى وسط النيل أو متصلاً بالشاطىء ، ومع كل هذا فلم يذكر أحد من الكتاب أن بولاق كانت جزيرة

ثالثاً : لما تكلم المقريزى فى خططه على بولاق (ص ١٣٠ ج ٢) قال إن ساحل النيل كان بالمقس ، وأن الماء قد انحسر حول سنة ٥٧٠ هـ عن جزيرة عرفت بجزيرة الفيل ، وتقلص ماء النيل عن سور القاهرة الذى ينتهى إلى المقس ، وصارت هناك رمال وجزائر ما من سنة إلا وهى تكثر حتى بقى ماء النيل لا يمر بها إلا أيام الزيادة فقط ، وفى طول السنة ينبت فيها البوص والحلفاء وتنزل المماليك السلطانية لرمى النشاب فى تلك التلال من الرمل . فلما كانت سنة ٧١٣ هـ رغب الناس فى العمارة لشغف السلطان الملك الناصر بها ومواظبته عليها ، فأقبل الناس على الإنشاء والعمارة ، وجد الأمراء والجند والكتاب والتجار والعامة فى البناء ، وصارت بولاق المذكور يزرع فيها القصب والقلقاس على النيل حيث جامع الخطيرى ، وامتدت الدور على النيل وسكنوا ورغبوا فى السكنى ببولاق من جامع الخطيرى إلى جزيرة الفيل ، وتفاخروا فى إنشاء القصور الفاخرة هناك ، وغرسوا من ورائها البساتين العظيمة

رابعاً : لما تكلم المقريزى فى خططه عن جزيرة الفيل (ص ١٨٥ ج ١) قال بين سطور ما ذكره عن تلك الجزيرة : « وانحسر النيل عن جانب المقس الغربى وصار ما هنالك رمالاً متصلة من بحريها بجزيرة الفيل المذكورة ومن قبليها بأراضى اللوق فافتتح الناس باب العمارة فعمروا فى تلك الرمال المواضع التى تعرف اليوم ببولاق خارج المقس »

خامساً : ذكر ابن تغرى بردى فى كتاب النجوم الزاهرة (ص ٣٠٧ ج ٧) أنه فى سنة ٦٨٠ هـ تربت جزيرة كبيرة ببحر النيل تجاه قرية بولاق واللوق وانقطع بسببها مجرى البحر ما بين قلعة المقس وساحل باب البحر والرملة وبين جزيرة الفيل وهو المار تحت منية السيرج ، وانسد هذا البحر ونشف بالكلية ، واتصل ما بين المقس وجزيرة الفيل بالمشى

سادساً : ليس من السهل إنشاء مدينة كبيرة مثل بولاق فى جزيرة بعيدة عن ساحل المقس فى حين أنه لم يكن بينها وبين ذلك الساحل كوبرى أو جسر تسير عليه الناس والدواب بين ميدان باب الحديد وبين شاطىء النيل الحالى حيث كانت توجد بولاق القديمة على ذات الشاطىء

ومما ذكر يتضح أن بولاق لم تكن جزيرة فى يوم من الأيام وإنما أنشئت على أرض ظهرت فى مجرى النيل ، وكانت تلك الأرض فى بدء تكوينها فى سنة ٦٨٠ هـ مكونة من الرمال الفساد اتصلت بحريها بجزيرة الفيل ومن قبليها بأرض اللوق ، ثم صار

قبل براح الشباب

للأستاذ حسين الظريفى

غيرُ مستنكر من الأيام ما لهـا من نقض ومن إبرام
سبقت حكمة الزمان سواها وإن استبهمت على الأفهام
لم يزل ينشئ الشباب ويبلى يا له من بانٍ ومن هدّام
إنما نحن فى الحياة ضيوف لا يزادون حصةً من طعام
فاغتنم فرصة الشباب وبادر فى ذراه إلى بلوغ المرام
كل يوم يمرّ، لم أقض فيه وطراً، لا يعدّ من أيامى
إنما العمرُ حاجةُ المرء تُقضى والذى بعد ذاك طيف منام

* * *

ربَّ مستمتع بفضل صباه لم يكن آمناً من الأيام
خال فى صحة الصبا يتحامى ما وراء الصبا من الأسقام

النيل يطمى عليها تدريجياً فربت وارتفعت أرضها وصارت صالحة للزراعة والسكنى وفى سنة ٧١٣ هـ أنشئ فى نهايتها الغربية الواقعة على النيل بلدة بولاق فى المنطقة الواقعة الآن حول جامع الخطيرى كما هو مبين على خريطة القاهرة رسم الحملة الفرنسية فى سنة ١٨٠٠ بمقياس ١/١٦٠٠٠

وبالاطلاع على خريطة مدينة القاهرة رسم سنة ١٨٦٨ يتبين أن بولاق كانت لغاية تلك السنة بلدة صغيرة واقعة على النيل ولم تتجاز مبانيها المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع السبتية، ومن الجنوب بشارع اصطبلات الطرق، ومن الشرق بشوارع سيدى المليجى وعلوة الحجاج وتل نصر ووابور النور، وكانت الأرض التى بين بولاق القديمة وبين شارع الملكة نازلى كلها أرضاً زراعية وبساتين، ولم يحدث فيها البناء إلا فى زمن الخديوى إسماعيل، ومن ذلك الوقت أخذت بولاق تتسع فى العمارة حتى اتصلت مبانيها بمدينة القاهرة، وأصبحت بولاق قسماً إداريا من أقسام القاهرة

محمد رمزى

وفراراً من القلى والتجنّى لم يكن بالمتيم المستهام
نظرات ضاق المجال عليها وهو رحب بغيرها مترام

* * *

لستُ ممن يبكى الشباب إذا ما ملك الشيب فيه كل زمام
قائلاً لو يعود يوماً شبابى ليرى ما للمشيب من آثام
أنا من يترك الصبا ليس فيه أمد لم يحـلَّ بالأحلام
حاملاً كل ما له من حقوق قائماً بالحقوق خير قيام
وفؤادى من الهوى بمكانٍ لم تصله ملامة اللوّام
أجد الغض من شبابى فيه ساحباً ذيله على الأيام
لى من ميعة الصبا يقظات كدن يذهبن فيه كالأحلام

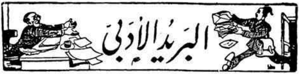
* * *

ولقد راق شرخُ كل شباب متسام بثغره البسام
فيه من كهرباءة ومضات دونها كل وامض من غمام
وتراه بالعبقرية يفرى ما نبا عنه حدُّ كل حسام
وعليه روائع من معانٍ هنّ إلهام كل ذى إلهام
شاعرٌ جاء من عيون القوافى بالتى لم تكن بذات نظام
قد تجافت وزن الخليل وعافت ما وراء الخليل من أحكام
كبرت أن تكون فى اللفظ معنى ربَّ معنى من غير لفظ مقام
قد براها من مقلة وجبين وقوام يزرى بكل قوام
وفؤاد ماضى العزيمة ثَبْتٍ لم يعوّد إلا على الإقدام
ودم من لظى أحرَّ إذا ما ثار للحق ثورة الضرغام
ميزة إثر ميزة تلو أخرى لم تُجابه بالنقص بعد التمام

* * *

أيها المزدهى بشرخ شباب فى ثرى (مصر) أو (بدار السلام)
هذه فرصة الصبا فاغتنمها وارم ما أنت فى شبابك رام
وابدُ فى جانب الحمى أو حشاه مثل صدر المهند الصمصام
إنما يطلب الحمى أن يفدّى فى عراك السيوف والأقلام

حسين الظريفى



وما آفة الأخبار إلا رواتها

حضرة العلامة الأستاذ صاحب مجلة الرسالة المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فلا فريق فى فندق (الملك داود) فى بيت المقدس يجتمع فى كل يوم فيبحث فى شىء كما جاء فى خبر فى عنوان (وشاية) فى الرسالة ٥٢٧ ص ٦٣٩ ولم يكن حديث عن أحد من السادة الفضلاء المصريين الذين وردت أسماؤهم فى الخبر .

محمد إسعاف النشاشيبى

١ – إلى الأستاذ العقاد

كتبت كلاماً فى مجلة « الصباح » حول بيت من الشعر قلت فيه : إن شاعرية العقاد الفذة ابتلعت هذا البيت بألفاظه ومعانيه من الأستاذ « على طه » ولم أقرأ رداً على هذه الكلمة من قلم « العقاد » الجبار بل قرأت كلاماً أملاه ضمير ملوث على لسان صنيعة من صنائعه ... فهلا تفضل أيها العملاق فتنازل « حسن القاياتى » الكاتب الكسال كما قال « زكى مبارك » ليبين للناس فى الساحة الكبرى لهذه الخصومة : أى الفريقين أحق ؟ فريق القاياتى . أم فريق العقاد ... آمل ... أن يسلك الناس طريق الحق ليرفع هذا القناع الأسود الذى احتجب من ورائه أدباء رفعتهم الأمة الجاهلة وغيرتهم من دون الرحمن ... العقول السقيمة ... !

٢ – إلى الدكتور زكى مبارك

قرأت بإعجاب خطابك الأسيف الذى تواضعت « الرسالة » فنشرته لك ، وهى بعد – تعرف القاياتى الذى لا يود أن يحاط اسمه بهذا السياج الباهت من الدعاية الكاذبة . ويقحم اسمه بين الأسماء الشاعرة

إن القلم القاياتى يا دكتور نسيج وحده تعرفه الأسواق الأدبية الحرة يوم يكون فى مصر للقلم الكبير أسواق ... تجزى المحسن وتلفظ المسىء

القاياتى أيها الناس نظم الشعر وكثير من أدبائنا الذين تطنطن الصحف بذكرهم اليوم أسماء لا يحلو ترديدها إلا على ألسن اللوات فى الحارة . والأتراب فى القرية !!

القاياتى شاعر من شعراء المدرسة القديمة التى تلقى فيها الدكتور أول درس فى اللغة وآخر درس فى البيان

وليس يضير الشاعر أن يسلك به النشء هذا المسلك الذى لا يحمده الأدب . ولا تسيغه أثلات الأقلام

إن الأدب يا دكتور ليس كلاماً ترجمه الصحافة كل يوم ويطالعه النشء كل ساعة . وليست الصحف التى تملأها بالصحف التى تروق الذين نحب أن تكون واسطة عقدهم « الأدب حساس » لا يزنه إلا الحس المرهف . ولا يفيد إلا المشاعر الحية . ولا يعرف النقد إلا الحساسية فى الأدب

أخال فلاناً لا أرانى الله شخصه . وقد زكته نقابة الصحافة فى قاهرة الفاطمى بأنه أبى متسول . ثم يكون بعد اللتيا والتى من هيئة النقابة وواحد الصحافة . وزعيم الأغلبية . لك الله يا بلد المعز . فقد جملت دهماء الأدب يحكمون هذا الحكم الأعرج على جماعة الأدب فى الشرق ويزنون الناس بغير ميزان فتخاطبهم صعاليك الصحافة وتجهلهم الأخلاق المريضة وليس بكثير على الدكتور مبارك أن يرمينى بالكسل والكسل الهازىء حتى تنجح قضيته الخلابة ويروق منطقه الساخر

أجل أنا لا أريد أن أكثر يا دكتور . وفى كل يوم لى مقطوعة ستكون الشاهد لى يوم يحتاج الأدباء إلى شهود ترفعهم إلى درجات المجد وترقى بهم إلى السماء

إن ديوانى « يا دكتور » يكلم الناس من أربعين عاماً ... وأنت بعد ما تزال حدثاً تكلم الناس بلسان الحكائين وتحدثهم بمنطق الأطفال . ثم ماذا ؟ ثم تكون لى ثروة شعرية تحت يدى تقع فى مجلدات ضخمة غير ديوانى الناشىء وباكورتى من نصف قرن . ثم هذه الكلمات المريضة التى اعترف بها البيان . وخلدتها الصحافة . وانتفع بها شيوخ الأدب . وكانت دروساً

ألقيت فى مدارس البيان . «القاياتي» يا دكتور مبارك لا يعجبه هذا الأسلوب الخادع . فهو أعرف بطوايا قلمك . وخفايا نفسك ولقد توكل على الله يا ولدى العزيز قبل أن يعرفك . وكان قلمه من بين الأقلام المتوكلة عليه سبحانه فانتفع ونفع وجاهد فى سبيل الأدب وخدمة اللغة وسيجاهد إلى أن يقضى الله عليه بالفناء والرسالة التى تقول عنها . أنها لا تجامل أحداً ـ أعتب عليها هذا العتب البرىء ـ فأقول : أنها تجامل كثيراً أدباء عرفتهم الصحافة لهم حاضر فى الأدب يحاول الشباب أن يهدمه بالحق . وللحق ـ ولكنها تطوى رسائله طياً وفى هذا موت للشباب . وحياة للمصانعة الخاتلة ورب رسالة شابة خير من جهاد شيخ يتوكأ على عصا الشهرة ويمشى على سراج خافت ولقد صدق الله إذ يقول :

« تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ... !!!

(دار القاياتى) حسن القاياتى

عضو المجمع اللغوى

إلى الأستاذ دريني خشبة

يزعمون أن الحرب ليست شراً كلها . بل أن فيها للانسانية خيرات وحسنات ، وللمجتمع البشرى « المأزوم » نفعاً وفائدة لحياته الاقتصادية والسياسية وحتى الصناعية والعمرانية . ولكن الأدب والفن . ما فائدتهما وعائدتهما منها ؟ ؟ إن معركة حقيرة « بالنسبة للحرب الجارية » هى « حروب طروادة خلقت للأدب هوميروس وأتحفت الأجيال بالألياذة » الباقية على الزمن . فهل تنجب هذه الحرب الطحون هوميروس جديد يخلق لنا إليـاذة جديدة خالدة كتلك ؟ إن يكن هذا فإله الأدب والفن مستعد لمعانقة « مارس » إله الحرب إعترافاً بفضله وأياديه عنده . وإلا فهل ابتلى رحم الفن والأدب بالعقم والعُقر ؟ فإذا كان الأمر كذلك فلماذا ؟ وإلى أى الأسباب يعزو ذلك الأستاذ ؟ وهلا يرى معى أن الأدب الإنسانى المـادى الحاضر بركوده وجموده محتاج إلى مصل « إلياذة » جديدة تسكب فى عروقه عناصر الانبعاث والفن والخلق ؟

ذلك ما استفتى به الأستاذ الكبير وأطلب فيه إبداء رأيه وأدلاء حكمه على صفحات الرسالة .

(حلب) كمال الحريرى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)